

أنا وأنت على الطريق مجالس "القات" النسائية في اليمن

هل سمعت صديقتي بحكمة سقراط؟ قابل أحد الأشخاص الفيلسوف الحكيم سقراط فسأله: هل تعرف ما الذي سمعته حالا عن... صمت سقراط دقيقة ثم أجاب: قبل أن تقول لي أي شيء أود أن تجتاز اختبارا من ثلاث نقاط: الاختبار الأول عن الحقيقة: هل أنت متأكد من أن ما ستقوله لي هو الحقيقة؟ أجاب الرجل الحقيقة أنني سمعت عنه فقط. وقال سقراط الاختبار الثاني عن الصلاح: هل ما ستخبرني به هو شيء جيد؟ قال الرجل: في الحقيقة لا. أجابه سقراط: معنى هذا أنك ستخبرني عن صديقي شيئا رديئا مع كونك لست متأكدا مما سمعت. والآن استمع إلى الاختبار الثالث وهو الفائدة: هل ما تريد أن تقوله لي عن صديقي ذا فائدة؟ أجاب الشخص: في الحقيقة لا. وهنا قال سقراط: ما الفائدة من أنك تريد أن تخبرني بشيء لست متأكدا من صحته وهو كلام رديء وبلا فائدة؟ هذا هو سبب حكمة سقراط يا سيدتي المستمعة....

وفي هذا المنحى عن النميمة وما تؤول إليه من مشاكل لفت نظري تقرير من صنعاء اليمن بعنوان: الطبخ والنميمة والبرنس في مجالس القات النسائية. ويقول التقرير عن هذه المجالس النسائية والملقبة بـ "التفرطة" أنها تحمل دلالات خاصة تشير إلى واقع النساء في اليمن ومدى التهميش الذي يواجهه بحسب ما يرى بعضهم. وبشكل عام ينظر إلى مجالس التفرطة باعتبارها نوعا من تمضية الوقت والترويح عن النفس. وتزاوُل التفرطة ثلاث شرائح اجتماعية: ربات البيوت الأميات أو المحدودات في التعليم، والمتعلمات والمتقفات. ولكنها تتلاقى ثلاثتها حينما يحين الحشوش أي النميمة. وتبتعد النساء عن تناول قضايا مهمة أو مفيدة. إلا أن يمنيات كثيرات لا يزلن يعطين مجالس التفرطة هذه قيمة إيجابية في رأيهن، تتمثل في توطيد العلاقات.

وشددت الدراسة في التقرير على إيجابية مجالس القات النسوية في التفريغ النفسي على رغم تأثيراتها السلبية من قبيل إهمال متعاطية القات واجبات البيت والأبناء. وتتناول النساء في مجالس القات قضايا الطبخ والبرنس أي الأعمال بالإضافة إلى النميمة أي الكلام على الآخرين. ومن الواضح أن القات ما انفك "يحيك وينسج" علاقات الأفراد في المجتمع اليمني طبقا لتحويلات بناء السياسية والاقتصادية. ويظل البلوى والسلوى على حد ما تصفه بعض الكاتبات اليمنيات.

إذن سبعون بالمئة من اللاتي شملتهن الدراسة يتعاطين القات ومن بينهن ربات بيوت وجامعيات لديهن أطفال. هذا ما جاء في التقرير يا سيدتي. وفي هذه المجالس كما سمعت تتناول السيدات من كافة النوعيات المتعلمات وغير المتعلمات التكلم على الغير أي النميمة التي هي أحد أهداف هذه اللقاءات. أما الكلمة العامية للنميمة فهي الحشوش. ترى هل سمعن السيدات اليمنيات بحكمة

سقراط؟ فهو أبا أن يتكلم أحد أمامه عن رفيق له. لأن الكلام في غياب الشخص هو أمر غير محبب ولا يفيد ومن الاحتمال أن يكون كاذبا. وأنت صديقتي ما رأيك بالنميمة؟ وهل تتجربين وراءها في مجالسك مع النساء أو في اللقاءات الاجتماعية؟

لو أن المجالس النسوية في اليمن اقتصرت على تبادل الخبرات في الطبخ أو الأعمال أو تربية الأطفال لكان فيها ما يعود بالفائدة عليهن. أما تناول "القات" أي النفرطة، ومن ثم الحشوش فهذه كلها عادات ضارة لا بل سامة تسمم الجسم والعقل معا. وتترك الروح محملة بالخطايا ومتقلة بالآثام من جراء التكلم على الناس وأسلوب الذم والتجريح بالآخرين.

هل تعلمين سيدتي أن جلب سيرة الناس وأسلوب التقريع والتجريح والذم بالآخرين لهو خطأ فادح تقع فيه الكثير من النساء في مجالسهن؟ وعندما تبتدئ امرأة واحدة فقط في التكلم على فلانة وذم أخرى ، تقوم الأخريات أيضاً باتباع الأسلوب نفسه في التكلم على فلانة وأحيانا اختلاق القصص المزيفة عن أخرى. فهل هذا المجلس نافع ومفيد يا ترى؟ وهل اللقاءات هذه تؤدي إلى نتيجة إيجابية؟

اسمعي يا سيدتي ماذا قال مرة المخلص والفادي يسوع المسيح والمعروف عند البعض ب عيسى بن مريم عن هذا الموضوع: " فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات. والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور. ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين. لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان. فهل انتبهت إلى هذه الحقيقة الهامة سيدتي المستمعة؟

إذن من القلب من الداخل يخرج الكلام ، فما هو نوع الكلام الذي يخرج عنك يا سيدتي؟ فالبعض يقول عنه النبي والملك سليمان الحكيم : يوجد من يهذر مثل طعن السيف، أما لسان الحكماء فشفاء... أما الرسول بولس أحد رسل المسيحية الأوائل فقد قال ناصحا : أخيرا أيها الإخوة كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو ظاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففي هذه افتكروا... إذن كل ما هو فضيل وعادل وظاهر وحق في هذا نفنكر، وليس العكس . فعندما تتكلم المرأة أو الزوجة عن جاريتها أو عن زميلتها أو حتى قريبتها ، وتذمها وتقوم بفعل النميمة هذا، إنما تقوم بعمل خاطئ مئة بالمئة.

اسمعي سيدتي ماذا كانت صلاة النبي داود إذ قال: لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية أمامك يارب صخرتي ووليي. وأيضا: اجعل يارب حارسا لفمي احفظ باب شفتي. وأنت سيدتي المستمعة، وإزاء هذه الآيات المقدسة ما هو موقفك من النميمة؟ وهل تتخرطين فيها دون أن تدري؟ صلّ إلى الله حتى يغيّر قلبك من الداخل لأنه من فضلة القلب يتكلم اللسان. هذا ما قاله الفادي يسوع المسيح. فهل تريدان أن يخرج الكلام الصالح منك؟ إذن اطلبي منه تعالى أن يغيّر قلبك ويمنحك قلبا طاهرا ونقيا مبررا. لأنه مكتوب إن دم يسوع المسيح يطهر من كل خطية فهل تؤمنين وتتقين بالرب يسوع المسيح؟ لا يخلصك من النميمة فحسب بل من كل عادة ضارة تمتلك جسداك ونفسك وقلبك.
